﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ [آل عمران: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن الله تعالى أنَّ الدِّين المرضيَّ عنده هو الإسلامُ والتَّوحيدُ، وأنَّ اختلاف أهل الكتابين فيه إنَّما هو للبغي والحسد، وأنَّ الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتِّباع الرَّسول ﷺ وطاعته؛ شرَعَ في تحقيق رسالته، وكونِه من أهل بيت النُّبوَّة القديمةِ[1]، فقال تعالى: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وبيّن أنَّ طاعة الرَّسول لاصطفائه على العالمين بالرِّسالة والدِّين.

ولمّا بيّن الله تعالى أنَّ محبَّته لا تتمُّ إلَّا بمتابعة الرُّسل؛ بيّن علوَّ درجات الرُّسل وشرفَ مناصبهم، فقال: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا﴾ الآية[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱصۡطَفَىٰٓ﴾: جذر الكلمة هو: (صفو)، وصَفْوُ الشَّيْءِ بِالْفَتْحِ: خَالِصُهُ، وَحُكِيَ التَّثْلِيثُ، وَصَفَا صَفَاءً؛ إذَا خَلَصَ مِنَ الْكَدَرِ؛ فَهُوَ صَافٍ، وَصَفَّيْتُهُ مِنَ الْقَذَى تَصْفِيَةً: أَزَلْتُهُ عَنْهُ، وَأَصْفَيْتُهُ الْوُدَّ: أَخْلَصْتُهُ. والمعنى المحوريُّ: خلوُّ الشَّيء من الخُشونة والكَدر وما إليهما، كما في ملاسة الصَّفا، ونقاءِ ما يصفِّي من الكدورة والشَّوائب.

واصطفاه الله: اختاره واجتباه، كأنَّه أخذه؛ لأنَّه أصفَى جِنْسه أو أجوده، والمصطفى ﷺ صفوة اللَّه من خلقه.

2) ﴿ءَادَمَ﴾: اسمُ أبي البَشَر عند جميع أهل الأديان، وهو عَلَمٌ عليه، وظاهر القرآن أنَّ الله أسماه بهذا الاسم[3]، ووزن آدم: أفْعَل، وأصله: أَأْدم، فتحوَّلت الهمزة السَّاكنة ألفًا لانفتاح ما قبلها، مشتقٌّ من الأَدِيم، بِمَعْنَى: أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، فيَكُونُ أَصْلُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/25.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/18.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/229.

آدَمَ فِعْلًا سُمِّيَ بِهِ أَبُو الْبَشَرِ، ثُمَّ نُقِلَ مِنَ الْفِعْلِ؛ فَجُعِلَ اسْمًا لِلشَّخْصِ بِعَيْنِهِ، ويؤيِّده الحديث: «إنَّ اللّٰه تعالى خلقَ آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدمَ على قدرِ الأرضِ، فجاءَ منهم: الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبين ذلكَ، والسَّهلُ، والحَزنُ، والخبيثُ، والطَّيِّبُ»[1].

أو يكون على قول قُطْرب: آدم: أَفْعَلُ من الْأَدَمَةِ: وَهِيَ بَاطِنُ الْجِلْدِ، أو يكون مأخوذًا من الأُدْمةِ، وهي الخُلْطة، تقول: أَدَمْت بين الشَّيئين؛ إذا خلطتَ بينهما، فسمِّي آدمُ: آدمَ؛ لأنَّه كان ماء وطينًا خُلطا جميعًا، ويقال في جمع: آدم: آدمون، وأوادم[2].

۞ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخبِرُ اللّٰه تعالى في هذه الآية الكريمة باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه، فبدأ بذكر اصطفائه لآدم على سائر المخلوقاتِ، خلقَه بيده، ونفخَ فيه من روحه، وأسجدَ له ملائكته، وأسكنه جنَّتَه، وأعطاه من العلم والحِلمِ والفَضْل ما فاق به سائر المخلوقات.

واصطفى نوحًا عليه السلام فجعله أوَّلَ رسولٍ إلى أهل الأرض حين عُبِدت الأوثانُ، ووفَّقه إلى الصَّبر والاحتمال والشُّكر والدَّعوة إلى اللّٰه في جميع الأوقات، وأغرق الكافرين من قومه، وجعل ذُرِّيَّتَه هم الباقين، واختار آلَ إبراهيم، وهم أسرة إبراهيم الَّذي اختصَّه اللّٰه بخُلَّته، وجعله إمامًا للنَّاس، وجعلَ في ذرِّيَّته النُّبوَّةَ والكتاب.

ويَدْخل في آل إبراهيم جميعُ الأنبياء الذين بُعثوا من بعده؛ وفي مُقدِّمتهم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ الَّذي جمَع اللّٰه فيه من الكمال ما تفرَّق في غيره، وفاق ﷺ الأوَّلين والآخرين، فكان سيِّدَ المرسلين المصطفَيْنَ الأخيار، واختار اللّٰه آلَ عمران، وهو والدُ مريم بنت عمران؛ فهذه البيوت الَّتي ذكرها اللّٰه في هذه الآيةِ المباركة، هي صفوتُه من العالمين، وتسلْسَلَ الصَّلاحُ والتَّوفيقُ في ذرِّيَّاتهم[3].

(1) الترمذي، السنن، الحديث رقم: (2955)، وقال: حسن صحيح.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 1/513، والأنباري، الزّاهر: 1/384، وابن فارس، مقاييس اللغة: (أدم).
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 54، والموصلي، أولى ما قيل: 2/463 - 464.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التَّعبير بالاصطفاء في تمثيل المعلوم بالمرئيِّ:

رُســـلُ الـلـه وأنـبـيـاؤه هم صفوَتُه وخيرتُهُ من خلقه

اصطفاهم بمعنى: اختارهم، أي: جعلهم صفوة خلقه تمثيلًا بما يُشاهَد مِن الشَّيء الَّذي يُصفَّى، ويُنقَّى من الكدورة[1]؛ لأنّ العرب تمثِّل المعلوم بالشَّيء المرئيِّ، فإذا سمع السَّامع ذلك المعلوم؛ كان عنده بمنزلة ما يشاهد عيانًا، فنحن نُعاين الشَّيء الصَّافي النَّقيَّ من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه.

ونظير هذه الآية قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: 144]، وقال في إبراهيم وَإِسۡحَاقَ وَيَعۡقُوبَ: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ [ص: 47][2].

فهذا من حسن البيان الَّذي يُمَثَّلُ فيه المعلوم بالمرئيِّ، فمثَّل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم؛ لأنَّهم كخلوص الصَّافي من شائب الأدناس.

التَّعبير بالكلِّ عن الجزء:

آلُ إبـراهـيـم هـم أبـنـاؤُه وأحفاده الذين اصطفاهم الله لحمل رسالاته

الآل: رهطُ الرَّجل وعشيرته، وآل إبراهيم: أبناؤه وأحفاده وأسباطه، والمقصود تفضيل فريق منهم، وهذا معنًى مجازيٌّ عقليٌّ: أراد الجزء، وذكر الكلَّ، وشمل آلُ إبراهيم الأنبياءَ من عَقِبه كموسى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمَّد ﷺ.

لفظ (آل) كناية عن الأُسر التي اصطفى الله أبناءها للنُّبُوَّة:

بيـان تفضيل أنساب الأنبياء وبيـوتـهـم على غيرهم

أمَّا إن كان الـ (آل) هنا متعيّنًا للحمل على رهط الرَّجل وقرابته[3]، أو ما يمكن أنْ نقول عنهم: أسرة النُّبوَّة؛ فنقول بجواز ذهاب الـ (آل) إلى معنى الكناية عن تلك الأُسر الَّتي اصطفاها الله تعالى.

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت - لبنان، 1419 هـ - 1998م: 5/162.

(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/274، والرّازي، مفاتيح الغيب: 8/19.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/231.

وعليه يكون معنى الـ (آل) الَّتي وردت في العبارة القرآنيَّة الكريمة في قوله: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ كناية عن البيوت الَّتي ضمّت أكثر من نبيٍّ أو رسول في أسرة واحدة، كما الحال مع ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: كناية عن الأسرة الَّتي ضمَّت إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، و﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: كناية عن الأسرة الَّتي ضمَّت مريم وعيسى وزكريَّا ثُمَّ يحيى - عليهم السلام - فقدّمت الآية قصَّة لأنموذج فذٍّ فريد لبيت ينشأ فيه الأنبياء، وألقت الضَّوء على بعض ملامح حياتهم وعلاقاتهم - عليهم السلام - وهذا ما أشار إليه ﷺ بقوله حين سُئل: من أكرم النَّاس؟ فقال: «الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ: يوسف بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»[1].

الجمال في أسلوب التَّخلُّص:

الانتقال من التَّمهيد المُقَرِّر لاصطفاء إلى قصص المُصْطَفين

ومن براعة التَّخلُّص في هذه الآية الكريمة[2]: الابتداء بنكتة اصطفاء الأنبياء جميعًا، من أوَّل الخلق إلى خاتم الأنبياء ﷺ في قوله: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ الآية، فوطَّأ بهذه الجملة إلى ذكر قصَّة آل عمران، وما اكتنفها من المعجزات والكرامات، ومنها مبدأ خلْقِ المسيح[3] عليه السلام.

جمال التَّوشيح[4] في الآية الكريمة:

ومن التَّوشيح قوله تعالى: ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فإنَّ معنى اصطفاء المَذْكُورين

(1) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (3382).

(2) من الأمثلة الواضحة على فنِّ التخلُّص في كتاب الله قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فإنَّه سبحانه أشار بقوله: أحسن القصص إلى قصَّة يوسف، والجملة توطئة لذكر القصَّة، مشيرًا إليها بهذه النُّكتة، من باب الوحي والرَّمز، وإنَّما كانت أحسن القصص بكون كلِّ قضيَّة منها كانت عاقبتها إلى خير، فإنَّ أوَّلها رميه في البئر، فكانت عاقبته السَّلامة، وبيع ليكون عبدًا، فاتُّخذ ولدًا، ومراودة امرأة العزيز له، فعصمه الله، ودخوله السِّجن، وخروجه ملكًا، وظفر إخوته به أوَّلاً، وظفر بهم آخرًا، وتطلُّعه إلى أخيه بنيامين، واجتماعه به، وعمى أبيه، وردُّ بصره، وفراقه له، ولأخيه واجتماعه بهما، وسجود أبويه وإخوته له تحقيقًا لرؤياه من قبل. ابن أبي الإصبع، تحرير التَّحبير، ص 438.

(3) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 438.

(4) التَّوشيح: "هو أن يكون معنى أوَّل الكلام يدلُّ على لفظ آخره، فيتنزَّل المعنى منزلة الوشاح، ويتنزَّل أوَّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللَّذين يجول عليهما الوشاح،

فإنَّ السامع إذا فهم أنَّ الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى، وعرف القافية والرويَّ، علم آخر البيت". المصدر: النويري، نهاية الأرب: 7/137.

تُعلَم منه الفَاصلة، فالاصطفاء يكون من الجنس، وجنس هؤلاء المصطفين، هو العالمون[1]؛ لأنَّ من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختارًا على جنسه، وجنس هؤلاء المصطفون العالمون[2].

مفهوم ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بين الإطلاق والتَّقييد:

العالمون كنايةٌ عن عالمي زمانهم[3]، والاصطفاء مُطلقٌ في الآية ممَّا يحتمل التَّفصيل والتَّفريع، الأوَّل: أنَّ الله اصطفى مجموع الرُّسل أو جماعة الرُّسل على مطلق معنى العالمين، والمعنى الآخر: أنَّه تعالى اصطفى كلَّ فاضل منهم على أهل زمانه، فإنْ تعاصر الأنبياء؛ فهم كالواحد في أهل زمانهم.

وذكر ابن عاشور أنَّ معنى اصطفاء الأنبياء على العالمين: "اصطفاء المجموع على غيرهم، أو اصطفاء كلِّ فاضل منهم على أهل زمانه"[4].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الآل والأهل:

الآل أخصُّ من الأهل

الآل: أخصُّ من الأهل، فإنَّ الآل يتناول الأخِصَّاء الَّذين يَجْرُون من الإنسان مجرى ذاته، ولهذا يقال لذات الإنسان ولخصائص عشيرته: الآل، ولم يتناول آلُ محمَّد ﷺ الكافرين من ذويه[5].

الآل: أخصُّ؛ ومعناه خَاصَّة الرَّجل من جِهَة الْقَرَابَة أَو الصُّحْبَة

الْأَهْل: يكون من جِهَة النَّسَب والاختصاص، فَمن جِهَة النَّسَب قَوْلك: أهل الرَّجل لِقَرَابَتِهِ الأدْنَيْن، وَمن جِهَة الِاخْتِصَاص قَوْلك: أهل الْبَصْرَة وَأهل الْعلم، والآل: خَاصَّة الرَّجل من جِهَة الْقَرَابَة أَو الصُّحْبَة، تَقول: آل الرَّجل لأَهله وَأَصْحَابه، وَلَا تَقول: آل الْبَصْرَة

(1) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص: 228. وأحمد البدوي: من بلاغة القرآن، ص 72.
(2) ابن معصوم، أنوار الربيع: 1/174.
(3) وهو قول جمهور المفسرين. القرطبيُّ: الجامع لأحكام القرآن: 4/63.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/231.
(5) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/524.

وَآل الْعلم، وَقَالُوا: آل فِرْعَوْن: أَتبَاعه، وَكَذَلِكَ آل لوط، وَقَالَ الْمبرِّد: إِذا صغَّرَتِ الْعَرَبُ الْآل؛ قَالَت: أهل، فَيدلُّ على أَنَّ أصل الآل: الْأَهْل، وَقَالَ بَعضهم: الْآل: عيدَان الْخَيْمَة وأعمدتها، وَآل الرَّجل مُشَبَّهُون بذلك؛ لأَنَّهم مُعْتَمَدُهُ[1].

وخصوصيَّة الآل تتناسب وسياق الآيات الكريمات، حيث إنَّ إضافتها إلى المصطفَيْنَ الأخيار؛ لبيان نوع العلاقة بين الآل والمضاف إليه، وهي النُّبوَّة والرِّسالة، وهي أرفع من البُنُوَّة والأُبُوَّة.

(1) العسكري، الفروق اللغويَّة، ص: 281.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»